تصور مكانة الولي الصالح عبد الرحمن الثعالبي في مدينة الجزائـــر فـــي العهـــد العثمانـــي مـــن خـــلال أوقـــاف ضريحـــه

أ.مليكة مسعودي

طالبة دكتوراه بجامعة الجزائر 2

حظي ضريح عبد الرحمن الثعالبي بمكانة مرموقة في نفوس الجزائريين، و هو في غاية الإجلال والعظمة، و يتضح ذلك من خلال كثرة زيارات الناس له، وخاصة النساء اللواتي يذهبن فرادى أو جماعات[1]. ويُعتبر الضريح ذو أهمية كبيرة، فهو حارس مدينة الجزائر وحاميها من كل شر، كالغارات الأجنبية والكوارث الطبيعية، و هو ما عبرت عنه قصيدة شعبية خلّدت انتصار المدينة المحروسة على هجوم أوروبي خلال القرن الثامن عشر؛ جاء فيها ما يلي[2]:

كل ولي يرمي بمدفـع ما يخطب من قابلوا مطن

أولهم سيد الثعالبـــــي هو سيف و صور حرمها

بحر العلم خليفة النبـي صاحب الأسرار واليهـــا

في حماه البهجة مشرقة وبجـــــــاه مطمنـــــا

[1] ROZET. M. Voyage dans la régences d'Alger t 3 , Imprimerie de madame Huzerd, paris , ,p128.

[2] غطاس عائشة ."إسهام المرأة في الأوقاف في مجتمع مدينة الجزائر". *المجلة التاريخية المغربية* .العدد 85-86، ماي1976، ص. 122.

كان مبجلا من قبل الوجهاء، و محترما و معظما، يلتمسون منه الدعاء الصالح، ويقتدون به في دينهم ودنياهم لهذا السبب بنو له الضريح[1]. كما أنّه كانت طائفة رياس البحر لا تنطلق في غزواتها البحرية ،إلا بعد زيارة الضريح و التبرك به مرددين :

يا لاســـا !يا لاســـــا ! خرجت الليلة من الجزاير

يا لاســـا ! يا لاســـــا ! بحـــر كبير أو ريـــح

فجميـــع أو عقلـي مخبـــل

كما كانت كلّ السفن تتمركز في اتجاه الضريح ولا تنطلق إلا بعد تحيته[2].

لقد تعدّت شهرة ضريح سيدي عبد الرحمن الثعالبي حدود الجزائر لتصل إلى بلدان أخرى من المغرب الكبير وإفريقيا، خاصة تونس التي كانت تبعث بحمولة من الزيت كل عام. وكان هذا الضريح قبلة للكثير من الزوار والحجّاج الأغنياء الذين خصّصوا له جزءا من أملاكهم دون التوقف على مر السنين[3]. وهذا من بداية القرن II للهجرة. كما كان الضريح ملجأ للفارين للسلطة الحاكمة، ولعلّ أبرز مثال على ذلك هو لجوء حسن باي إلى ضريح الثعالبي فيقول مولاي بلحميسي :

"كان حسن هذا قبل ولايته منفيا بها (تلمسان) عند واليها الباي محمد بن عثمان حيث شكاه باي قسنطينة الجزائر فوجه من يأتي به فاسترحم بضريح الشيخ عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر ووقعت فيه الشفاعة من الموت فنفاه لتلمسان ..."[4].

---

[1] بن ميمون محمد الجزائري، *التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية*، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1981، ص 348.

[2] غطاس عائشة، *الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر 1700-1830 مقارنة اقتصادية واجتماعية*، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، جامعة الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم التاريخ ،ج1، 2001، ص177.

CHEVALIER C., *Les trente premières années de l'Etat d'Alger* ,1510-1541, Alger, OPU, 2002, p. 85.

[3] BUSSON DE JANSSENS G., *Contribution à l'étude des habous publics Algérienne*, Thèse de doctorat en droit, Alger, 1950, p. 34.

[4]- بلحميسي مولاي، *الجزائر من رحلات المغاربة في العهد العثماني، الجزائر*، الشركة الوطنية للدراسات التاريخية ،1979، ص39.

ولم يكن الضريح ملجأ لكبار الشخصيات أو لأهالي البلاد فقط، إنّما كان أيضا للعبيد السود حق اللجوء إليه عندما يتذمرون ويشتكون من أسيادهم، وذلك عند رغبتهم في ترك أسيادهم والهروب منهم. ففي مثل هذا الظرف يقوم الوكيل أو المرابط بمعرفة أولا سبب هروب العبد، وإن اقتنع بذلك السبب يذهب بنفسه إلى السيد حيث يتفاوضان حول موضوع العبد ويعرض الوكيل على السيد بيع عبده لسيد آخر وهذا ما يحدث في الكثير من الأحيان. أما إذا كان العبد يملك الكثير من المال فيطلب عتقه أو شراء حريته، وهنا أيضا يتكفّل الوكيل بالتفاوض مع السيد في هذا الشأن[1].وفي حالة اللجوء إلى الضريح فإن الحاكم أو الباعث لا يستطيع اقتحام ذلك المبنى، بل يكتفي بمحاصرة الضريح حتى يسلّم الفار نفسه أو يموت جوعا داخله، إذا كان الفار ذو خطورة[2]، أي له تأثير سياسي على المجتمع أو متهم بالخيانة[3].

كما كان للوكيل أو المرابط دورا فعالا في الحياة الاجتماعية والسياسية عند المسلمين: فكلامه يعتبر أمرا يجب طاعته من قبل الناس، إذ يعودون إليه لحل قضاياهم الخاصة والعامة، و كان لهم دور في استتباب الأمن، من خلال منع الحروب بين القبائل الأعداء وتوفير الأمن للقوافل حتى لا تتعرض لقطاع الطرق.

كان رؤساء القبائل و كبار شيوخهم قبل خروجهم في غزوة يتبركون بالضريح المفضل عندهم، طالبين منه العون والنصر. وامتد هذا حتى إلى حكام الجزائر الذين يقومون بدورهم بإطلاق طلقات مدفعية تبركا بالضريح عند خروجهم إلى الحرب[4].

---

[1] ROZET. M. *op.cit.*, t. 3, p. 128.

[2] DEVOULX, Fils, *Les Edifices religieuse de l'ancien Alger*, *Revue Algérienne*, n °6, 1862, pp377-378.

[3] وكان حاكم الجزائر عند مجيء باننتي هو الحاج علي باشا و كان في عام 1814 قد حكم 7سنوات.

PANANTI. M ; Révolution d'un séjour à Alger, tr de l'anglais par M. Blaquièr, Paris, ED NORMANT, imprimerie libarire, 1820, P . 348.

[4] ROZET. M, *op.cit*, t. 2, pp. 377-378.

مما سبق ذكره يتضح لنا جليا تأثيرهم الروحي والسياسي والاجتماعي، وما يلاحظ أن زوار الضريح يحملون معهم هدايا علّ دعواتهم تستجاب، وتوضع هذه الهدايا بالقرب من تابوت الولي أو المرابط. وإنه لشرف كبير أن يحصل أحدهم على مكان قرب القبة ليدفن فيه [1]، وكلّما كان أقرب إلى الضريح كان أوفر حظا من غيره[2].

كان الأتراك يحترمون المرابطين ويقدّرونهم ويزورونهم، وما يؤكد أكثر أقوالنا هو وجود عدد كبير من الأتراك ومن مختلف الطبقات الاجتماعية في مدينة الجزائر وغيرها من مدن البلاد التي أوقفت على تلك الأضرحة عددا كبيرا من الديار والحوانيت والبساتين وأواني الطبخ والحلي (الذهب والفضة). هذا ما تبيّنه لنا الوثائق الوقفية التي تحصّلنا عليها من مركز الأرشيف الوطني، كما أن الأتراك يؤمنون أن دعاء هؤلاء المرابطين مستجاب عند الله لذا كانوا يقدّرونهم[3].

فاستنادا إلى سلسلة المحاكم الشرعية[4] التي اعتمدنا عليها، أحصينا ثلاثة وخمسين وقفية، اشتملت على أملاك عقارية حبست على ضريح الثعالبي وهي كلها في مدينة الجزائر وفحوصها ، وواحدة في مدينة المدية كما سيتم توضيحه لاحقا. من خلال دراستنا لتلك الوثائق استطعنا التعرف على جوانب كثيرة من الحياة اليومية والاجتماعية وحتى السياسية لمدينة الجزائر خلال العهد العثماني وحتى جزء من الفترة الاستعمارية.

تتضمن الوثائق التي استعنا بها على أسماء المحبسين وطبقاتهم الاجتماعية وأنواع الحبس وتاريخ التحبيس، وقد قسمنا هذه الجداول إلى جدول خاص بأصحاب الحرف والوظائف، وجدول للمحبسين الذين لم تُذكر وظائفهم، وآخر خاص بالمحبسين من أفراد الجيش الانكشاري، وأخيرا جدول خاص بالنساء المحبسات على الضريح وسنأتي إلى تفصيل كل هذا فيما سيأتي.

---

[1] *Ibid.*, p. 125

[2] *Ibidem.*, p. 248.

[3] DEVOULX. F., "Ahad Aman" .R.A. n° 19 octobre.1859, p. 214.

[4] الموجودة بمركز الأرشيف الوطني الجزائري.

أولا: المحبسون من أصحاب الحرف و الوظائف:

أحصينا كما سبق ذكره ستة عشر(16) وقفية، شارك فيها أصحاب الحرف والوظائف. فوجدنا الفخارين والخياطين والحرارين والبابوجيين والدباغين والحواتين والبرادعيين والزواقيين والقواقيين وشيوخ البلد. تعود أقدم وقفية إلى عام 1013هـ/1604م وهي لفخار. كما أثبتت الوثائق المدروسة وجود أمناء الحرف الذين حبسوا لصالح الضريح، والأمين في الجماعات الحرفية بمدينة الجزائر في العهد العثماني كان يتكفّل بتسيير شؤون الجماعة ومراقبتهم، كما يحمي أصحاب كل حرفة من التعدي ويضمن مستوى مقبول للحرف وتحديد أسعار منتجاتها وتنظيم العلاقة بين الدولة وأرباب الحرف[1].

فقد وجدنا أمين الفخاريين وهو السيد الحج عمر[2]، الذي حبس على الضريح جميع الثمنين وثلث الثمن، لكن لم يذكر نوع العقار المحبس بالإضافة إلى دار، و هذا في عام 1204هـ/1789م. كما وجدنا من أمناء الحرف أمين الحدادين وهو السيد الطاهر[3] الذي حبس دارا عام 1236هـ-1820م، كما وجدنا فخارا وهو السيد الحاج احمد الفخار[4] الذي حبس دارا في 1013هـ-1604م.

كما كان من ضمن المحبسين أيضا على الضريح شيخ البلد[5] وهو السيد الحاج احمد الذي حبس شطرا من ثمن الدار، وذلك عام 1175هـ-1761م، وتجدر الإشارة إلى أن هذه الوظيفة مهمّة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، إذ يكلف بمراقبة جماعات الحرفيين مثل جماعة الخياطين والنساجين وجماعة الاسكافيين...الخ. كما يجمع الضرائب المفروضة على هذه الجماعات، والتي تسلّم لخزينة الدولة كل شهرين، كما يتقاضى راتبه من تلك الضرائب، ويقوم بحراسة حبس مخصّص للنساء الذي ليس تحت حراسة المزوار (حارس الليل والأخلاق)[6].

---

[1] غطاس عائشة، *الحرف والحرفيين*، المرجع نفسه، ص 145.

[2] ا، ج، م،ش،ع132-133 و،ر50 /3.

[3] نفسه ،ع20 / 2 و،ر7 /3.

[4] نفسه ع 140 و،ر 50.

[5] نفسه ، ع:84-85-86. و،ر 67.

[6] TACHRIFAT, *Recueil de notes historiques sur l'administration de l'ancienne régence d'Alger*, par .A.DEVOULX, Conservation des archives arabes des domaines, Alger Imprimerie de gouvernement, 1852, p. 23.

المهنة او الوظيفة	العدد
الخياط	3
الفخار	2
الحرار	2
شيخ البلد	I
القواق	I
البابوجي	I
البرادعي	I
البناء	I
الدباغ	I
الزواق	I
الحداد	I
الحوات	I

الجدول رقم I

المحبسون من أصحاب الوظائف

وجدنا ثلاث خياطين، السيد الحاج علي الخياط[1] الذي وقف جنة عام 1094هـ/1682م، والسيد الحاج محمد الخياط بن الفخار[2] الذي أوقف دارا وإسطبلا ذلك أوائل شوال 1202هـ/1787م، والسيد احمد الخياط بن البري[3] الذي حبس جلسة[4] حانوت في أواسط شعبان 1217هـ/1802م.

---

[1] م ا و ر نفسه ع 47-و59.

[2] نفسه ع 140و ر 49.

[3] نفسه ع 132و ر 49.

[4] عندما يتطلب بناء وقف إصلاحا ولا يستطيع الوكيل القيام بذلك يعطيه لشخص ما لتصليحه وإيجاره، على أن يدفع للوكيل إيجارا ثابتا في السنة ويمكن لهذا الشخص أن يؤجره لشخص ثالث دون أن يتدخل الوكيل، فيحدد الإيجار حسب قانون العرض والطلب؛ وبذلك فإن الفرق بين الإيجار الأول والثاني يسمى بالجلسة، وتسمى في المناطق الأخرى للجزائر بالقعدة. انظر بن حمدوش مصطفى أحمد، *المدينة والسلطة في الإسلام نموذج الجزائر العهد العثماني*، ط1، دمشق، دار البشائر، 1999، ص 211.

كما أحصينا حرارين اثنين و هما : السيد الحاج عبد الرحمان شريف الحرار بن الحاج قاسم[1] حبس حانوتين معدتين لصناعة الحرارين عام 1210هـ/1795م، وغانم الحرار أبي القاسم[2] الذي حبس دارا ومخزنا في 21 محرم 1263هـ/ 1847م

إضافة إلى هؤلاء هناك حرفيون آخرون و هم : الحاج علي القواق[3] الذي حبس دارا بعلويين ومخزن عام 1101هـ/1689م، والسيد الحاج محمد البابوجي بن مصطفى[4] الذي وقف رقعتين ودار في أوائل محرم 1122هـ/ 1710م، والحاج احمد البرادعي[5] أوقف جنة بتاريخ 1124هـ/1712م، والمعلم محمد المدعو الديلمي[6] البناء ابن القاسم - ولفظة "المعلم" تطلق على البنائين الذين كانوا منتظمين في جماعة حرفية، وقد كانت تتعامل مع السلطة المركزية فيما يخص قضايا البناء والصيانة والإصلاح[7] - الذي حبس جنة أو بستان ورقعة في أواخر جمادي الأولى 1194هـ/1780م، والسيد الحاج عبد الله الدباغ بن احمد اليسير[8] الذي وقّف ستة احفر معدة لصناعة الدباغين 1218هـ/ 1803م، ومحمد الزواق بن محمد[9] - ولفظة "الزواق" تطلق على الدهانين - الذي حبس دارا أواخر رجب 1227هـ/ 1812م، وآخرهم السيد محمد بن الحوات بن بلقاسم[10] الذي وقف دارا وعلويا في 22 ربيع الثاني 1287ه/1872م.

---

[1] ا و ج م ش ع 134-135و ر74.

[2] نفسه ع 14 و ر 4/7-8.

[3] نفسه ع 40 و ر 2/19.

[4] نفسه ع 5/6 و ر 11.

[5] نفسه ع 42و ر 3/27.

[6] نفسه ع 2 /48 و ر 20.

[7] بن حموش مصطفى احمد، المرجع نفسه، ص 196.

[8] ا و ج م ش ع 55و ر 19.

[9] نفسه ع 72-93 و ر 09.

[10] نفسه ع 2/20و ر 6/39.

نوع الحبس	العدد
دار	10
احفر معدة لصناعة الدباغين	6
جنة	3
رقعة	3
علوي	3
حانوت	2
مخزن	1
إسطبل	1

جدول رقم 2

أنواع الأملاك المحبسة من قبل أصحاب الحرف و الوظائف

ومما سبق نلاحظ أن هذه الوقفيات شملت دورا وبساتين وحوانيت ورقايع ومخازن وعلويات واسطبلات، وبالتالي تنوعت الأوقاف.

ما تجدر الإشارة إليه أن هذه الوقفيات، منها الخيري ومنها الأهلي الذي سوف يرجع بعد انقضاء العقب وقفا على الضريح وحده أو وقفا مشتركا بين الضريح ومؤسسات خيرية أخرى، التي كانت في الكثير من الأحيان مشتركة مع الجامع الأعظم والحرمين الشريفين، وهذا حسب شروط الموقف التي يذكرها في رسم الوقفية. وقد أحصينا أربعة وثائق المستفيد منه الضريح، سواء الاستفادة بكامل الوقف أو جزء منه، كما تم تبيينه سابقا و هي وقفية الحاج عمر أمين الفخاريين والسيد الحاج عبد الله الدباغ بن احمد اليسير، وهي وقفية مشتركة بين ضريح الثعالبي والجامع الأعظم، ووقفية السيد غانم الحرار أبي القاسم والمستفيد الوحيد هو الضريح، أما وقفية الحاج احمد البابوجي فقد خصص ربع منها للضريح، والحاج محمد الخياط بن الفخار قد وقف شطرا فقط والشطر الأخر على الجامع الأعظم.

فمن خلال هذا الجدول يتبين لنا أن هذه الفئة قد أوقفت بشكل كبير و ملحوظ الدّور التي بلغ عددها عشرة ديار، ثم تليها البساتين التي بلغ عددها ثمانية

بساتين، وبالدرجة الثالثة الحوانيت والمخازن والعلوي ومستخلص بلاد الذي خصص صاحبه الثلث للضريح.

المثير للانتباه والذي يتجلى بشكل ملحوظ في هذا الجدول أنه كثرت الوقفيات أوائل القرن 18م وفي أواخره، ولعلّ هذا لأسباب ترتبط مباشرة بحالة البلاد التي انعكست إيجابا على السكان الذي كثر عندهم الوازع الديني والخيري، والدليل على ذلك كثرة الوقفيات، ولربما أيضا تشجيع الحكام لهذا الفعل الخيري، وذلك لأنهم هم أنفسهم خصصوا أوقافا لهذه المؤسسات الدينية ومن بينها ضريح الثعالبي[1].

ثانيا: المحبسون الذين لم تذكر مهنهم

هذا العنصر خصصناه للمحبسين الذين لم نتمكن من معرفة وظائفهم او مهنهم، ولقد سميناهم "بالحضر" بالرغم من أن الفئة الأولى المذكورة أصحاب المهن والحرف من طبقة الحضر الذين هم السكان الأصليين لمدينة الجزائر، ولديهم مكانة مرموقة في مجتمعها[2]، وهي الفئة الأكثر إسهاما في أوقاف هذا الضريح إذ بلغ عدد الوقفيات عليه سبعة عشر (17) وقفية؛ فأول وقفية وجدناها مؤرخة بـ1067هـ /1657م وهي للسيد أبو إسحاق السيد إبراهيم[3] الذي حبس جلسة حانوت أوائل شعبان، والسيد الحاج الوزان الذي حبس دارا في أوائل ذي القعدة 1185هـ/ 1771م، والسيد احمد الشريف[4] الذي حبس أربع جنات و جلسة حانوت و رقعة التي عنائها 2,25 ريال دراهم صغار و ذلك عام 1240هـ/ 1824م . وآخرهم السيد عبد القادر الحباب [5] الذي وقف جدارا أواخر شعبان 1248هـ/ 1832م.

---

[1] سعيدوني ناصر الدين، *النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية 1800-1830م*، الجزائر، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، 1979، ص 141.

[2] سعيدوني ناصر الدين، *الجزائر في التاريخ* ، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ج 1، ص 97. انظر أيضا غطاس عائشة ،*الحرف والحرفيين*، المرجع نفسه، ص4.

[3] او ج م ش ع 132 و ر 36.

[4] نفسه ع 54 و ر 10.

[5] نفسه ع 196-197 و ر2/23.

نوع الحبس	العدد
دار	10
جنة	8
رقعة	3
جلسة حانوت	2
مخزن	2
علوي	2
مستخلص بلاد	1و3/1

جدول رقم 3

أنواع الأملاك المحبسة من قبل الذين لم تذكر وظائفهم

يتضح من الجدول أن الدور أخذت حصة الأسد من الأملاك المحبسة إذ بلغ عددها عشرة ديار، ثم تليها البساتين بعدد يقدر بثمانية بساتين، ثم الرقايع بعدد قدر بثلاث رقعات، ثم تلي المخازن والعليات بـ 2 لكل واحد منهما، وفي الأخير نجد مستخلص بلاد، أي هذا الشخص قد وقف كل ما يخرج من بلاده أي أرضه على ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي.

ثالثا: المحبسين من أفراد الجيش الانكشاري

من خلال الجدول رقم 4، نلاحظ أن أفراد الجيش الانكشاري ساهموا في أوقاف ضريح سيدي عبد الرحمان،إذ أحصينا ست وقفيات خاصة بهذه الفئة. ويتبين لنا من خلال نفس الجدول أن واحدا منهم برتبة "أغا"، وهي أعلى رتبة عسكرية في الجيش الانكشاري، ويسمى أيضا "أغا الهلالين" لأن مدة توليه أو بقائه في هذا المنصب تدوم شهرين ويحضر اجتماع الديوان ويدفع جراية الجنود[1] (أجرة). كما وجدنا اثنين آخرين نعتتهما الوثيقة بالانكشاريين دون ذكر رتبهم العسكرية، وشاووشان ، ومنزول أغا واحد هو الأغا المتقاعد والذي لا يكلف بأية مهمة عسكرية سوى المشورة وحضوره اجتماعات الديوان دون أن تكون له كلمة أو رأي إلا بأمر الداي[2].

[1] SHAW.D., « Voyage dans la régence d'Alger », T.F de l'anglais par :J.MAC Carthy, 2ed Tunis , Ed. Bouslama, 1980, p.158.

[2] ROY, « Etat général et particulier des royaume et de la ville d'Alge », Lahaye, p, 35 .

رتبة الانكشاري	العدد
الشاوش	3
انكشاري	2
أغا	I
منزول أغا	I

الجدول رقم 4

رتب المحبسون من أفراد الجيش الانكشاري

وفيما يلي نذكر أصحاب الوقف من الجيش ونوعية أوقافهم حسب التسلسل الزمني: فأولهم السيد الحاج علي أغا ابن الحج حسن التركي[1] الذي حبس ثلاث حوانيت أواخر محرم 1082هـ/ 1672م؛ أما عن الانكشارية نجد : الحاج محمد الانكشاري[2] الذي حبس دارا في سنة 1101هـ/ 1689م، وعمر الانكشاري بن الحبحاب بن محمد[3] حبس جميع جلسة حانوته في أوائل شعبان 1230هـ/ 1811م، والحاج مصطفى بن الحاج محمد شاوش[4] بيت المال الذي وقف ثلاثي أسباع دار وما استخرج منها وذلك أوائل ربيع الأول عام 1191هـ/ 1777م. أما الشاوشان فهما الحاج الهادي شاوش[5] الذي وقف جميع مخلفاته و هنا الوثيقة لم تذكر ما هي تلك المخلفات وذلك عام 1260هـ/ 1844م، والحاج الهادي شاوش بن مصطفى[6] الذي أوقف بناء أحدثه وساحة دار وحانوت ومخزن بتاريخ 28 ربيع الأول 1267هـ/ 1851م.

[1] او نفسه ع 132-133 و ر 33.

[2] نفسه ع 140و ر 2/19.

[3] نفسه ع 196-197 و ر 2/23 .

[4] نفسه ع 2/133-134 و ر 25.

[5] نفسه ع 59 و ر 107 .

[6] نفسه ع 132-133و ر 19.

نوع الحبس	العدد
حانوت	3
دار	4
مخزن	I
مخلفات	I
بناء أحدثه	I

جدول رقم 5

أنواع الأملاك المحبسة من قبل الجيش

وهذا وإن كان عدد أفراد الجيش المحبسين على الضريح قليل (7 أفراد)، إلا أن الأملاك المحبسة من قبلهم كانت معتبرة إذ وجدنا من حبس ثلاث حوانيت مرة واحدة، وهذا دليل على غنى هذه الطبقة من المجتمع الجزائري إذ أحصينا ستة حوانيت وثلاث ديار ومخزن وبناء ومخلفات حسب ما يوضحه الجدول أعلاه. كما يتبين أيضا مما ذكرناه سابقا أنه من بين سبعة وقفيات اثنتان فقط حبستا مباشرة على الضريح، أما الباقي فهو حبس ذري لا يرجع إلى الضريح إلا بعد انقضاء العقب، سواء على الضريح وحده أو مشترك مع الجامع الأعظم وقد أحصينا وثيقتين مشتركتين مع الجامع الأعظم .

خامسا: النساء المحبسات على الضريح

اطلاعنا على الوثائق الوقفية الموجودة في سلسلة المحاكم الشرعية، جعلنا نتعرف على دور المرأة في المجتمع الجزائري، و هذا من خلال إسهامها في الوقف في مدينة الجزائر. ويتبين لنا أن النساء المحبسات على الضريح الثعالبي بلغ عددهن سبع نساء حسب ما بيناه في استعراضنا لأسماء المحبسين سابقا، وهن من عائلات مرموقة في مجتمع مدينة الجزائر. فقد وجدنا بنت خوناجي و بنت رايس وغيرهما، وقد تنوعت أوقافهن بين الدور والحوانيت والبساتين والرقايع والمخازن، وحبّسن حتى قزانات. فنجد أن السيدة فاطمة بنت[1] راجب رايس أوقفت دارا في أوساط

[1] م ا و نفسه ع 119-120 .و ر 63.

محرم 1165هـ/ 1751م، والسيدة آمنة[1] بنت السيد الحاج محمد بوشمايم التي هي من طبقة الحضر أسهمت بدويرة في أوائل محرم 1235هـ/ 1819م، والزهراء[2] بنت الخليل التي حبست جلسة حانوت في أواخر رمضان 1238هـ/ 1822م، ودومة[3] بنت احمد التي ساهمت بقزان من نحاس في 1241هـ/ 1825م، وأكيد أنها وقفته للاستعمال للطبخ في مواسم معينة خاصة في الوعدة[4]، والولية خدوجة[5] بنت الحاج عبد الله أوقفت جنة أول جمادي الثانية 1244هـ/ 1828م، وفاطمة[6] بنت مصطفى حبست جنة ورقايع في 1247هـ/1831م، وأخيرا روزة[7] بنت محمد الخزناجي بوسنة التي أسهمت بشطر من دار وشطر من دويرة وشطر من كل مخزن من مخازن ثلاث، وذلك في 23 ربيع الثاني 1260هـ/ 1844م.

نوع الحبس	العدد
دار	4
جنة	2
رقعة	1
جلسة حانوت	1
مخزن	1وشطر مخزن
فزان	1

جدول رقم 6

أنواع أملاك المحبسة من قبل النساء

من خلال هذا الجدول يتبين أن هذه الأملاك قد تنوعت، فقد أحصينا أربعة ديار وجنتين ورقعة واحدة وحانوت واحدة ومخزن وشطر المخزن وقزان واحد. وإن دل على شيء فانه يدل على المكانة التي كانت تحظى بها المرأة، إذ كانت لها أملاك خاصة بها حيث تملك حق التصرف فيها، وهذا ما التمسناه مما سبق ذكره.

---

[1] نفسه ع 33 .و ر 13.

[2] نفسه ع 132-133و ر 1.

[3] نفسه ع 2/14، و ر 50.

[4] غطاس عائشة، *إسهام المرأة...*، المرجع نفسه، ص .123.

[5] م ا و م ش نفسه ع 140 .و ر 21.

[6] نفسه ع 119-.120و ر 63.

[7] نفسه ع 124-125 .و ر 2/12.

كما لاحظنا في كل وقفيات النساء أنه لم يكن الضريح المستفيد المباشر إنما كانت كلها حبسا ذريا، ثم بعد انقضاء العقب يؤول إلى المرجع الذي هو في الكثير من الأحيان مشترك مع بعض المؤسسات الوقفية الأخرى كالحرمين الشريفين والجامع الأعظم، ووجدنا وقفية خاصة بالسيدة آمنة بنت السيد الحاج بوشمايم أين فيها خصّصت شطر للحزابين بالجامع الأعظم وشطر لمسجد الولي سيدي رمضان وشطر لضريح الثعالبي، وكل هذه المؤسسات الثلاث قد سبق تأسيسها الوجود العثماني بالجزائر[1].

كما وجدنا وقفية خاصة وفريدة تخص تركيا، وهي الوحيدة التي وجدناها على اسم تركي وهو السيد مصطفى التركي[2] الذي حبس دارا عام 1228هـ/ 1813م، والمستفيد منها فقراء الحرمين الشريفين وضريح الثعالبي، إذ خصص لفقراء الحرمين ثلاثة أرباع (¾) وربع الباقي مخصص لضريح الثعالبي. بالإضافة إلى رسوم عناء و رسم شهادة لعلي بن عابد ومحمد بن عربية[3] تؤكد أن الحوش المسمى "بحوش العلج" الموجود "بسوق الأربعاء" محبس على ضريح الثعالبي مباشرة، وكان ذلك في رجب 1254هـ/ 1838م .

كما سبق و أن ذكرنا أن هذه الأوقاف قد تعددت و تنوعت، إذ وجدنا دور، حوانيت، مخازن وجنة، ورقع وحتى الإسطبلات[4] ،التي كانت تجمع فيها الماشية التي كانت تهاب للضريح لتنحر في مناسبات كثيرة، مثل الأعياد الدينية أو في وعدات، وكثيرا ما تكون الطعام وهو الكسكسى، وهذا ما تؤكده بعض الوثائق. فعلى سبيل المثال لا الحصر وثيقة فيها اشترط صاحبها أن يخصص جزء من وقفه على إطعام الطعام بضريح الثعالبي كما هي العادة، وهذه الكلمة الأخيرة لأكبر دليل على كثرة الوعدات أو "المعروف" الذي كان تقريبا كل يوم خميس وجمعة.

---

[1] غطاس عائشة، *إسهام المرأة*.... المرجع نفسه، ص .127.

[2] او ج م ش ع 18-1 و ر 52.

[3] نفسه ع 132-133 .و ر 57 .

[4] نفسه ع 140.و ر 49.

* * *

من خلال دراستنا لكل تلك الجداول، نستطيع الاستخلاص في الأخير النسبة المؤوية لكل فئة. فأكبر نسبة ساهمت في الوقف هي طبقة الحضر بنسبة 35,84، وتليها فئة أصحاب المهن والوظائف بنسبة 30,18، ثم تلي الانكشارية والنساء بنسبة 13,20 لكل واحد منهما، وقف الأتراك بنسبة 1,88، أما النسبة المتبقية وهي 5,7 فهي تشمل ما تبقى من شهادات ووقفيات دون أسماء المحبسين ورسوم عناء.

أما فيما يخص أماكن وجود تلك العقارات المحبسة، فهناك منها داخل أسوار مدينة الجزائر، وهناك من يقع خارجها أي في فحوصها مثلا فحص بوزريعة، فحص تلاوملي (تليملي حاليا)، فحص حيدرة، وفحص بوسكور، وجبل بوزريعة، وفحص مرسى الدبان، وفحص السد خارج باب الوادي، وفحص عوينة الجاج. أما المتواجدة داخل أسوار مدينة الجزائر فنجد منها حومة قاع السور، وقرب الجامع الأعظم، وقرب دار الانكشارية القديمة، وحومة سيدي لكحل، و سوق الشماعين، وقرب القصبة، وحومة بير الجباح، وقرب القهوة الكبيرة، وبقاع السور، وحارة الجنان، وحومة البطمة، وحومة السلات، وسوق الصباغين، وسويقة باب الوادي.

الملاحظ أن أكبر عدد لتلك الوقفيات كان داخل أسوار مدينة الجزائر، إذ بلغ عدد الأملاك فيها 25 من العدد الإجمالي أي بنسبة 47.16 %، أما الأملاك المتواجدة خارج أسوار المدينة فبلغ عددها 20% من العدد الإجمالي أي نسبة تقدر بـ37,73 %، أما النسبة المتبقية والتي تقدر بـ 15,11% فإن الوثائق لم تذكر أماكن تواجدها .

كما عثرنا على وثيقة تنص على وقفية تخص السيد حضر التلمساني الذي وقف دكانا على ضريح الثعالبي عام 1129هـ/ 1716م، والمستفيد المباشر هو الضريح؛ والمهم في هذا هو مكان تواجد الحبس وهو قرية المدية. وهنا أردنا التنويه فقط أو الإشارة إلى أن أوقاف الثعالبي لا تخص فقط أهل مدينة الجزائر، إنما تعدّته إلى غيرهم من الناس الذين يحترمون ويبجّلون هذا الولي الصالح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، إلا أن دراستنا قد حصرناها فقط على الموقّفين على

الضريح في مدينة الجزائر. وعسانا إن شاء الله أن نواصل ما بدأناه في المستقبل لمحاولة الإحاطة بجوانب أخرى من هذا الموضوع ، وليس ما عرضناه سوى جزءا بسيطا مما اعتبرناه محاولة إثارة مسألة ذات أهمية من شانها أن تجد الاهتمام من طرف الباحثين المختصين.